



قال صاحب المنازل في كلام قيم من كتابه القيم إذا أردنا أن نعيid تسطيره لسطرنا بمداد من ذهب:

فصل من منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الصدق

وهي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه من صالح به لم ترد صولته ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحاصل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين ومن مساكنهم

في الجنات

تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين وقد أمر الله سبحانه وأهل الإيمان : أن يكونوا مع الصادقين وخاص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال تعالى :) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (التوبية : 119) وقال تعالى :) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين النساء 69

فهم الرفيق الأعلى وحسن أولئك رفيقا ولا يزال الله يمدthem بأنعمه وألطافه ومزيده إحسانا منه وتوفيقا لهم مرتبة المعاية مع الله فإن الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين وأخبر تعالى :) آن من صدقه فهو خير له فقال : فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (محمد 21 وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم : من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق فقال تعالى :) ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقوون (البقرة 177 وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق

فقال تعالى :) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعدب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم (الأحزاب 24 والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر وأخبر سبحانه أنه في يوم القيمة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه

قال تعالى :) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تحتها الأنهر خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (المائدة

وقال تعالى :) والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقوون (الزمر 34 فالذى جاء بالصدق : هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله فالصدق : في هذه الثلاثة

الصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السبنلة على ساقها

والصدق في الأفعال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد

والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به : تكون صديقته ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه : ذروة سلام الصديقة سمى الصديق على الإطلاق والصديق أبلغ من الصدوق والصدق أبلغ من الصادق

فأعلى مراتب الصدق : مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل وقد أمر الله تعالى رسوله : أن يسأله أن يجعل مدخله ومحرجه على الصدق فقال تعالى :) وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا(الإسراء 80

وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أنه يهب له لسان صدق في الآخرين فقال تعالى:) واجعل لي لسان صدق في الآخرين(ويشد عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقدح صدق فقال تعالى : (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) يونس 2 وقال تعالى:) إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر(القمر : 54 - 55 فهذه خمسة أشياء

مدخل الصدق ومحرجه الصدق ولسان الصدق وقدم الصدق ومقدح الصدق
وحقيقة الصدق في هذه الأشياء

هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال وجاء ذلك في الدنيا والآخرة

مدخل الصدق ومحرجه الصدق :

أن يكون دخوله وخروجه حقا ثابتا بالله وفي مرضاته بالظفر بالبغية وحصول المطلوب ضد محرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها ولا له ساق ثابتة يقوم عليها كمحرج أعدائه يوم بدر ومحرجه كمحرجه وأصحابه في تلك الغزوة وكذلك مدخله المدينة

كان مدخل صدق بالله ولله وابتغاء مرضاه الله فاتصل به التأييد والظفر والنصر وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب فإنه لم يكن بالله ولا بل كان محادة لله ورسوله فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار وكذلك مدخل من دخل من اليهود المحاربين لرسول الله حصنبني قريظة فإنه لما كان مدخل كذب : أصحابه معهم فكل مدخل معهم ومحرجه كان بالله ولله وصاحبها ضامن على الله فهو مدخل صدق ومحرجه صدق وكان بعض السلف إذا خرج من داره : رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجا لا أكون فيه ضامنا عليك

يريد : أن لا يكون المخرج محرج صدق ولذلك فسر مدخل الصدق ومحرجه : بخروجهم من مكة ودخوله المدينة ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل فإن هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله وخارجيه وإنما مداخله كلها مداخل صدق وخارجيه مخارج صدق إذ هي لله وبإلهه ويأمره ولا بتغاء مرضاته وما خرج أحد من بيته ودخل سوقه أو مدخل آخر إلا بصدق أو بكذب فمخرج كل واحد ومدخله : لا يعود الصدق والكذب والله المستعان

وأما لسان الصدق

فهو الثناء الحسن عليهم من سائر الأمم بالصدق ليس ثناء بالكذب كما قال عن إبراهيم وذريته من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه

قال تعالى:) وجعلنا لهم لسان صدق علينا (مريم 50 والمراد باللسان هنا : الثناء الحسن فلما كان الصدق باللسان وهو محله أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثناء على الصادق جزاء وفاقا وعبر به عنه فإن اللسان يراد به ثلاثة معان : هذا واللغة

كقوله تعالى:) وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (إبراهيم 4 **وقوله تعالى:**) وختلف ألسنتكم وألوانكم (الروم 22

وقوله تعالى:) لسان الذي يلحدون إليه أعمجي وهذا لسان عربي مبين (النحل 103 ويراد به الجارحة نفسها **كقوله تعالى**) : لا تحرك به لسانك لتعجل به (القيامة 16 وأما قدم الصدق : ففسر بالجنة وفسر بمحمد وفسر بالأعمال الصالحة وحقيقة القدم ما قدموه وما يقدمون عليه يوم القيمة وهم قدمو الأعمال والإيمان بمحمد ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك

فمن فسره بها أراد : ما يقدمون عليه ومن فسره بالأعمال وبالنبي : فلأنهم قدموها وقدموا الإيمان به بين أيديهم فالثلاثة قدم صدق وأما مقعد الصدق : فهو الجنة عند رب تبارك وتعالى ووصف ذلك كله بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره وأنه حق ودواجهه ونفعه وكمال عائدهاته فإنه متصل بالحق سبحانه كائن به ولو فهو صدق غير كذب وحق غير باطل دائم غير زائل ونافع غير ضار وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل ومن علامات الصدق : طمأنينة القلب إليه

ومن علامات الكذب

حصول الريبة كما في الترمذى مرفوعا من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهمما عن النبي قال : الصدق طمأنينة والكذب ريبة.

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي قال : إن الصدق يهdi إلى البر وإن البر يهdi إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهdi إلى الفجور وإن الفجور يهdi إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا فجعل الصدق مفتاح الصدقية ومبدأها وهي غايتها فلا ينال درجتها كاذب أبلة لا في قوله ولا في عمله ولا في حاله ولا سيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته ونفي ما أثبته أو إثبات ما نفاه عن نفسه فليس في هؤلاء صديق أبدا وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرمه وتحريم ما لم يحرمه وإسقاط ما أوجبه وإيجاب ما لم يوجبه وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه كل ذلك مناف للصدقية وكذلك الكذب معه في الأعمال : بالتحلي بحلية الصادقين المخلصين والزاهدين المتوكلين وليس في الحقيقة منهم

فلذلك كانت الصدقية

كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهراً وباطناً حتى إن صدق المتباهيin يحل البركة في بيعهما وكذبهما يتحقق بركة بيعهما كما في الصحيحين عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقوا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذباً وكتماً : محققت بركة بيعهما .

والحديث بقى

إن مد الله لنا البقاء واللقاء.

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأنصفر

تاريخ النشر : 20/11/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأنصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com